أفعال الكلام بين القديم والحديث والطّرح الجديد

أطروحة أ. خالد ميلاد نموذجا

Speech Acts: From Traditional Theories to Modern And Emerging Approaches

A case study of Professor Khaled Milad's Thesis

أ. أحمد مسلّمي

كليّة العلوم الإنسانيّة
والاجتماعيّة
تونس

ahmedmselmi48@gmail.com

أفعال الكلام بين القديم والحديث والطّرح الجديد
أطروحة أ. "خالد ميلاد" نموذجا

أ. أحمد مسلّمي

ملخص:

كان مصطلح "أفعال الكلام" - وما يزال - من أهمّ المفاهيم الّتي تناولها الدّرس اللّسانيّ التّداوليّ بالتّحليل والتّمحيص. حيث تسعى الدّراسات التّداوليّة الحديثة إلى تقديم تصوّر إجماليّ ودقيق في الآن ذاته لمفهوم "نظريّة أفاعل الكلام". فبالنّظر إلى ما كُتب في هذا الموضوع من قبل التّداوليين الغربيين، ونخصّ منهم بالذّكر "سورل" و "أوستين"، وبالنّظر إلى ما وصَلنا من آراء البلاغيين العرب، ونخصّ منهم بالذّكر أولئك الّذين عاصروا "سيبويه" وُصُولا إلى "ابن هشام"، سنحاول جمع كلّ ما قيل عن الخبر والإنشاء. ثمّ مقارنتها بالطّرح الذّي جاء به الدّكتور "خالد ميلاد" لِمَا وجدنا فيه من جرأة ومعاملة بالنّد للنّظريات التّداولية الغربيّة، ما لم نجده عند غيره من لُغوِيي عصره. وقد طرح الدّكتور "خالد ميلاد" رأيه في المسألة ضمن محاضرة افتراضيّة، ألقاها ضمن فعاليّات " أكاديميّة بيت اللّسانيّات التّداوليّة" بتاريخ 31 جانفي 2025 تحت عنوان: " كيف نتعامل مع النّظريّات اللّسانية التّداولية الحديثة، أفعال الكلام مثالا؟"

الكلمات المفاتيح: اللّسانيّات التّداوليّة، البلاغة، الخبر، الإنشاء، أفعال الكلام.

ABSTRACT:

The term "speech verbs" was and still is one of the most important concepts dealt with in the pragmatic linguistic lesson with analysis and scrutiny. Modern pragmatic studies seek to provide a holistic yet accurate conception of the concept of "speech act theory." Given what has been written on this subject by Western deliberators, we mention them in particular "Surl" and "Austin". In view of the opinions of Arab rhetoricians, especially those who lived with Sibawayh and even Ibn Hisham, we will try to collect all that has been said about the news and the structure. Then compare it with the proposal brought by Dr. Khaled Milad because we found in it the boldness and treatment of pragmatic Western theories that we did not find in other linguists of his time. Dr. Khaled Milad presented his opinion on the issue in a virtual lecture he delivered within the activities of the "House of Pragmatic Linguistics Academy" on January 31, 2025, under the title "How do we deal with modern pragmatic linguistic theories, speech verbs as an example?"

Keywords: Pragmatic linguistics Rhetoric, News, structure, Speech verbs.

1- مقدمة:

من المتعارف عليه - عندنا - أنّ الفلسفة التّحويليّة هي المنبع الأساسيّ الّذي تولّدت منه النّظريات التّداوليّة اللّسانيّة. وتهتمّ الفلسفة التَحليليَة - والّتي ظهرت في بريطانيا وألمانيا أواخر القرن العشرين - بدراسة اللّغة دراسة علميّة، مُتَخذة من اللَغة الطَبيعيَة مادَة للدَراسة، مُعتبرةَ أنَ دراستها من الأولويّات لفهم العالم الخارجيّ، وهي الوسيلة الّتي نعبّر من خلالها عن أفكارنا ومقاصدنا. فقد قطعت مع الفلسفة الكلاسيكيَة الّتي كانت تنظر إلى اللّغة من زاوية نظر ميتافيزيقيّة، مُتجاهلة الجانب الاستعماليّ اليوميّ فيها. وهذا جوهر اللّسانيات التّداوليّة، والَتي أعادت النّظر في الكثير من الأمور منها: أقسام الكلام، والتّمييز بين الإنشاء والخبر.

فماهي الأسس النّظريّة لظاهرتيْ الخبر والإنشاء في البلاغة القديمة؟ وماهي معايير التّمييز بينها عندهم؟ ووفق أي معيار قسّم "أوستين" و "سورل" أفعال الكلام؟ وما هو التّصور الجديد الّذي طرحه الأستاذ "خالد ميلاد" لأقسام أفعال الكلام؟

2- الأسس النّظريّة لظاهرتيْ الخبر والإنشاء في البلاغة القديمة:

حاول العلماء قديما الإحاطة بالظّواهر اللّغويّة من مختلف جوانبها. فأصابوا في جوانب وأخفقوا في جوانب أخرى. وأغفلوا جوانب وتغافلوا عن، إلاّ أنّ الظّاهر عندنا – من خلال ما وصلنا- هو توفّر سِعة من المؤلّفات اللّغويّة، ينطلق الجديد منها من القديم، فيحلّله ويعدّله ويصوّبه، وهذا هو أساس المعرفة العلميّة ذات البناء التّراكميّ.

من الجدير بالذّكر أنّ "أفعال الكلام" لم ترد في التّراث العربيّ بنفس هذه التّسميّة، بل وردت بمصطلحيْ "الخبر والإنشاء". وأنّ مصدر هذه التّسمية كانت مع المعتزلة أثناء صراعهم الفكريّ مع خصومهم حول جدليّة القرآن الكريم، أكان وحيّا أم مخلوقا، ومسألة أزليّة القرآن الكريم، وأنّه غير مخلوق وحجتهم في ذلك أنّ القرآن لا يخرج عن واحد من ثلاثة: أمر ونهي وخبر. وذلك ممّا ينفي عنه صفة القدم ومن هنا جاء تحديد المعتزلة لمفهوم الخبر من حيث صِدقه وكذبه"[1]. فالتّقسيم الأوّل لأفعال الكلام كان على أساس مدى مطابقته للواقع من عدمه.

قبل البدء بطرح ما جاء به الأستاذ الدّكتور "خالد ميلاد"، كان لزاما علينا عرض السّيرورة التّاريخيّة لتبلور هذيْن المفهوميْن في التّراث العربيّ.

1- عبد العزيزي عتيق، علم المعاني، دار النّهضة العربيّة، 2009، ط1، ص42.

2-1- الأسلوب الخبريّ:

الخبر لغة: جاء الخبر في لسان العرب بمعنى النّبأ والخبر. قد ورد في لسان العرب في باب الخاء مادّة (خ.ب.ر) خبر: أخبرته وخبرته، والخبر: النّبأ ويجمع على أخبار، والخبر: العالم بالأمر. والخُبر: مخبرة الإنسان إذا خُبّر. أي: جُرّب فبدت أخباره، أي أخلاقه، والخُبر علمك بالشّيء، تقول ليس الأمر لي به خبر[1].

الخبر اصطلاحا: لتعريفه تعريفا دقيقا مرّ هذا المفهوم بعدّة مراحل تقسيميّة، تراوحت بين إلحاق أقسام به وإخراج أخرى منه، وهذا هو أساس ما نبحث عنه في طرح الأستاذ "خالد ميلاد". والخبر في اصطلاحه البلاغيّ هو: "الكلام الّذي يحتمل الصّدق والكذب، والصّدق هو الخبر عن الشّيء على ما هو به. أمّا الكذب فهو الخبر عن الشّيء لا بما هو به. فالصّدق أن يطابق الحكم الّذي يتضمّنه الكلام واقعا خارجه، والكذب أنْ لا يُطابق الحكم واقعا خارجه"[2]. وعرّفه ابن فارس (ت395هـ) بقوله: "الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم نحو: قام زيد ويقوم زيد وقائم زيد. ثمّ يكون واجبا وجائزا وممتعا، فالواجب قولنا: النّار محرقة، والجائز قولنا: لقي زيد عمرا، والممتنع قوله: حملت الجبل"[3].

نلاحظ ممّا سبق، أنّ استعمال الأسلوب الخبريّ عند العرب كان لا يخرج من كونه هو ما ينقل خبرا يحمل في مضمونه أحداثا ووقائع لشخصيّات احتمال صدقها وتكذيبها وارد مقارنة بمدى تطابقها مع الواقع الخارجيّ، ويستثنى من هذا الأمر القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة والحقائق العلميّة. لكن هذا التّقسيم قد لا يكون هو الأكثر إقناعا عند جماهير العلماء. فمنهم من تجاوز ثنائيّة الكذب والصّدق إلى ثلاثة أقسام وهي: ما كان "صادقا" وما كان "كاذبا" وما كان "لا صادق ولا كاذبا" ومن هؤلاء الجاحظ. الّذي أضاف على القسميْن المتعارف عليهما عند من سبقه قسما ثالثا، وهو ما "الخبر الّذي ليس بصادق ولا كاذب" والّذي قسّمه إلى أربعة أقسام متأثرا بالمعتزلة وهي:

- الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنّه غير مطابق.
- الخبر المطابق للواقع دون اعتقاد أصلا.
- الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنّه مطابق.
- الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.

يُعدّ الخبر عند البلاغيّ "قدامة بن جعفر" (ت 337هـ) هو: كلّ قول أفاد به مستمعه لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه، ومن الخبر ما يُبتدى المخبر به، فيخصّ باسم "الخبر" ومنه ما يؤتى به بعد السّؤال فيسمّى "جوابا" كقولك في جواب من سألك: ما رأيك في كذا؟ فنقول رأيي كذا، وهذا

1- الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار العلوم، القاهرة، ع5، 1910م، ص150.
2- الأزهر الزّنّاد، دروس في البلاغة العربيّة، ص100.
3- ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السّلفيّة، القاهرة، ع5، 1910م، ص150.

يجوز أن يكون ابتداء منك فيكون خبرا، فإذا أتى بعد السّؤال أتى جوابا كما قلنا"[1]. نفهم من قوله هذا أنّ الخبر عنده على نوعين: نوع أوّل وهو الّذي يختصّ بنقل خبر لم يكن للمُخبّر - أي المُتلقِي - علم به من قبل، أو على سبيل التّذكير لما تمّ العلم به بصيغ مختلفة منها الفخر، والهجاء، والمدح، والذّم... أمّا النّوع الثّاني من الخبر فإنّه يكون على صيغة الاستفهام - سؤال فجواب – على أساس أنّ الإخبار عمليّة ثنائيّة قائمة بين متكلّم ومستمع، مؤثّر ومتأثّر. وهذا التّقسيم يجرّنا إلى الحديث عن أنواع الخبر عند البلاغيين العرب قديما.

أنواع الخبر: اعتمد البلاغيون قديما في تمييزهم وتقسيمهم للخبر إلى أنواع على أساس معيار التّوكيد من عدمه بالنّظر إلى نسبة حضور أساليب التّوكيد من عدمه، وموقع السّامع من مضمون ذلك الخبر. ولشرح ذلك هذا مثال يوضّح ذلك:

- **الخبر غير المؤكّد:** وهوما خالٍ من أي وجه من وجوه التّوكيد.
- **الخبر المؤكّد:** وهو الخبر الّذي تضمّن أسلوبا من أساليب التّوكيد، وهي على نوعيْن:

أ. **الخبر الطّلبيّ:** "هو الخبر المؤكّد بأداة واحدة وفيه يتوقّع المتكلّم من سامعه عدّة أمور ممكنة، كأن يكون شاكًا في مضمون الخبر أو متردّد في قبوله فهو منه بين بين"[2]. واستعمال وسيلة من وسائل التّوكيد هو دليل على أنّ هناك كلام مسبوق محذوف يفترض عادة ريبة السّامع وشكّه في حصول الحدث من عدمه، كقولك: "**قد** جاء عُمر" أو، "**والله** دخل الأب"، أو "فرِحةً **كانت** الأمّ"...

ب. **الخبر الإنكاريّ:** وهو الخبر المؤكّد بأكثر من أداة واحدة. واستعمال أكثر من أداة دلّ على أنّ الخبر مؤكّد عند المتكلّم منكر عند السّامع. "ونسبة حضور أدوات التّوكيد فيه ترتبط بمدى الإصرار عند كلّ من طرفيْ التّواصل أحدهما رادا منكرا بمضمون الخبر والآخر محصّنا بكلامه دافعا سامعه إلى قبوله، فاستعمال التّأكيد إذن يرتبط بحدس المتكلّم، وما يتراءى له من عناصر المقام، مع العلم أنّه في الخطاب المؤكّد نسبة التّفاعل بين الطّرفيْن أقوى من عرض الخبر الابتدائيّ والطّلبيّ"[3]. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في الآية 57 من سورة الأنبياء: "وتا لله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تُولُوا مدبرين." وفي قوله في الآية 15 من سورة العلق: " كلاَ لئن لم ينتهوا لنسفعًا بالنّاصية."

قد أدرج "ابن فارس" في "الصَاحبي في فقه اللغة" عدّة معان للأسلوب الخبريّ منها:

- **التَعجب**: ما أحسن عُمرا!
- **التَمنّي**: وددتك معنا.
- **الإنكار**: ما له عليّ حقّ.
- **النّفيّ**: لا بأس عليك.
- **الأمر**: في قوله عزّ وجلّ في الآية 228 من سورة البقرة "والمطلقات يتربصن..."

1- نبيل فرج، قدامى بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1980م، ص44.
2- الازهر الزّناد، دروس في البلاغة العربيّة، ص100.
3- المرجع نفسه، ص102.

- **النَهي**: في قوله عزّ وجلّ في الآية 79 من سورة الواقعة: "ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن."
- **التَعظيم**: سبحان الله.
- **الدّعاء**: عفا الله عنك، وأستغفر الله، وقوله عزّ وجلّ في الآية 5 من سورة الفاتحة: " إياك نعبد وإياك نستعين." كل ما سبق ورد على وجهيْن اللّفظ خبرا والمعنى دعاء.
- **الوعد**: في قوله عزّ وجلّ في الآية 53 من سورة فصلت: "سنريهم آياتنا في الآفاق."
- **الوعيد**: في قوله عزّ وجلّ في الآية 227 من سورة الشّعراء: " وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون".
- **اللّفظ خبرا والمعنى شرطا**: في قوله عزّ وجلّ في الآية 229 من سورة البقرة: "الطّلاق مرتان." والمقصود إذا طلقت امرأة مرتيْن، فإمّا أن يُمسكها بمعروف أو أنْ يُطلقها بإحسان.
- **الإنكاروالتّبكيت**: في قوله عزّ وجلّ في الآية 49 من سورة الدّخان: "ذُق إنّك أنت العزيز الكريم."
- **الاستفهام**: يسمى أيّضا استخبارا. وهو طلب الخبر ممّن عنده علم بالشّيء المُستخبر عنه. وقد يصبح المُستخبِرُ مستفهما إذا أُجيب عن السؤال ولم يفهمه " أفهمني ما قلته لي؟" لذلك يُوصف الله عزّ وجلّ بالخبر لا يُوصف بالفهم[1]. والخبر عموما يقوم على ثنائيّة المُخبر والمستخبر. يقول الجرجاني (ت 471هـ): فمن غير الثّابت في العقول والقائم في النّفوس أنّه لا يكون خبرا حتّى يكون مُخبرٌ به ومُخبِرا عنه؛ لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي... ومن أجل ذلك امتنع أن يكون قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مُظهر أو مقدّر وكان فظك به إذا أنت لم ترد ذلك وصوتا تصوّته سواء"[2].

إنّ حديث الجرجانيّ عن ثنائيّة الإثبات والنّفي دليل على اعتماده ثنائيّة الصّدق والكذب في تصنيف الخبر. والخبر عنده:

- **خبر مثبت**: "دخل زيد".

يكون صادقا إذا؛ وقع فعل الدّخول أي؛ مطابقة الخبر للواقع.

يكون كاذبا إذا؛ حال عدم وقوع الفعل أي؛ عدم مطابقة الخبر للواقع.

- **خبر منفيّ**: "لم تمطر السّماء."

يكون صادقا إذا؛ لم ينزل المطر فعلا. أي؛ مطابقة الخبر للواقع.

يكون كاذبا إذا؛ نزل المطر فعلا. أي؛ عدم مطابقة الخبر للواقع.

ما يمكن أن نستنتجه - بعد عرض كلّ ما سبق – هو: أنّ أسلوب الخبر عند البلاغيين القُدامى، يكمن في المقاصد لا في الألفاظ والمباني. وهذا ما جعل تراكيبه تتعدّد وإنْ كان المعنى واحد وهو غرض الإخبار.

1- ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللغة، ص150.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، ص527.

2-2- الأسلوب الإنشائيّ:

الإنشاء لغة: كثيرا ما يرتبط مفهوم الإنشاء بمعاني الخلق والابتكار والإبداع في المعاجم اللّغويّة. "...والفعل نشأ ينشأ نشأ ونشأة ونشاءة والنّاشئة: أوّل اللّيل، وأنشأت حديثا: ابتدأت، وأنشأ الله السّحاب فنشأ وينشأ، أي ارتفع..."[1].

الإنشاء اصطلاحا: يُسمّى أيضا بالأسلوب الطّلبيّ. قال عنه "السّكاكي" (ت626هـ) في كتابه مفتاح العلوم: " لا ارتياب في أنّ الطّلب في غير تصوّر إجمالا وتفصيلا لا يصحّ. وأنّه يستدعي مطلوبا لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه ألاّ يكون حاصلا وقت الطّلب"[2]. نستنتج من قول "السّكاكي" أنّ أسلوب الإنشاء لا يحتمل الصّدق أو الكذب كما هو الحال مع أسلوب الخبر؛ لأنّ كلام من إنشاء المتكلّم متحقّق بمجرّد النّطق به سواء كان مطابقا للواقع أو لا. فعندما تستعمل أسلوب الأمر وهو أسلوب من أساليب الإنشاء كقولك:" اضْحك!" فلا يمكن أن نحكم عليه بالصّدق أو الكذب كونه من إنشاء المتكلّم، وسُمِيَّ بالطّلب؛ لأنّه طلب القيام بشيء من المخاطب وهو على قسميْن:

- **إنشاء طلبيّ**: ذلك الّذي يُتوقَّعُ منه حصول شيء ما من المُخاطَب، كالأمر، والنّهي، والاستفهام، والنّداء.

- الاستفهام: هو عموما طلب العلم بشيء يجهله المخاطِب عند التّلفظ، يأتي عادة في شكل سؤال باعتماد واحدة من بين كلمات الاستفهام والّتي حدّدها "السّكاكيّ" قائلا: " للاستفهام كلمات موضوعة وهي: الهمزة، أم، هل، ما، من، أيُّ، كم، كيف، أين، أنّ، متى، أيّان، بفتحة الهمزة وكسرها"[3]. وقسّمها من بعد ذلك إلى ثلاثة أنواع:

نوع أوّلٌ: يطلب المُخاطِب فيه توضيحا أو تفصيلا من المُخاطَب كقولك: ما اسمك؟ متى جئت؟ أين ذهبت؟

نوع ثان: يطلب فيه المخاطِب إثباتا أو نفيا لأمر من المخاطَب كقولك: هل أتى المدير؟ فالإجابة إمّا أن تكون بالإيجاب "نعم" أو النّفي "لا".

نوع ثالث: الاستفهام البلاغيّ لا يطلب فيه المُخاطِب إثباتا، أو نفيّا أو توضيحا أو تفصيلا بل لأغراض غير ذلك كالنّفي، والتّأكيد، والإنكار، والتَمنَي، والتّشويق، والإغراء... وكي لا تلتبس أغراض النَفي والتّأكيد والإثبات في النّوع الثّالث من الاستفهام بالنّوع الأوّل علينا أن نستعين بما أشرنا إليه سابقا هو المقام الإنشائيّ وقصد المتكلّم من كلامه والغرض منه. والأغراض الاستفهام هي:

النَفي: ما كان معناه الحرفيّ الأوّل استفهاما ومعناه الثّاني البلاغي النّفي كقوله تعالى: " قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون؟"[4].

1- الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص220.

2- أبو يعقوب السّكاكيّ، مفتاح العلوم، تر: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبان، ط2، 1978، ص302.

3- المصدر نفسه، ص308.

4- سورة الزمر، الآية 09.

التَقرير والتّأكيد: ما كان معناه الحرفيّ الأوّل استفهاما ومعناه الثّاني البلاغيّ إثباتا وتأكيدا قوله تعالى: "ألم نشرح لك صدر"[1]. وقوله تعالى: "هل من خالق غير الله"[2].

التَمني: ما كان معناه الحرفيّ الأوّل استفهاما ومعناه البلاغيّ الثّاني التّمني. وهو ما جاز فيه استبدال أداة الاستفهام بأداة التّمني "ليت" كقوله تعالى: "فهل لنا من شفعاء"[3]. أو قوله تعالى: "فيقولوا هل نحن منظرون"[4].

الإنكار: ما كان معناه الحرفيّ الأوّل استفهاما ومعناه الثّاني البلاغيّ الإنكار، كقوله تعالى: " أتأمرون النّاس بالمعروف وتنسون أنفسكم"[5].

التَشويق والإغراء: ما كان معناه الحرفيّ الأوّل استفهاما ومعناه البلاغيّ إثارة الانتباه والإغراء، كقوله تعالى: "يا أيها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم"[6]. فالآية لا تتطلّب جوابا عن سؤال رغم وجود أداة استفهام في أوّلها.

- **الأمر:** يعرّف الأمر عموما بأنّه طلب القيام بالشّيء من المُخاطَب على وجه الاستعلاء والإلزام. ويكون الأمر بواحدة من الصّيغ الأربعة التّالية:

أفعال القول: كقولك: " ربَ اعفرْ لي".

فعل المضارع المقرون بلام الأمر: كقوله عزّ وجلّ في الآية 3 من سورة قريش: "فليعبدوا ربّ هذا البيت."

اسم فعل الأمر: كقولك: إليك عنّي. أو في قوله تعالى في الآية 105 من سورة المائدة: "عليكم أنفسكم لا تضركم من ضلّ إذا اهتديتم."

المصدر النّائب عن فعله: كقوله تعالى في الآية 23 من سورة الإسراء: "وبالوالدين إحسانا." وللأمر هو الآخر معنى حرفيّ أوّليّ ومعنى بلاغيّ تُعرف انطلاقا من سياق الكلام. ومن المعاني أو الأغراض البلاغيّة نذكر:

الدّعاء: يكون على سبيل الاستغاثة، والعون، والتّضرّع، وتيسير الأمور... مثل قوله تعالى في سورة طه: "قل ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي." وهو أمر من العبد إلى ربّه مخاطبة من هو أدنى لمن هو أعلى منه منزلة وشأنا.

الالتماس: يكون عادة بين اثنين يتساويان في المرتبة، والمنزلة، والمكانة... كقول أحدهما للآخر: "يا صاحبي، أغْلقْ الباب". فالأمر هنا التماس فرضته العلاقة بين المُخاطِب والمُخاطَب.

1- سورة الشرح، الآية 1.
2- سورة فاطر، الآية 3.
3- سورة الأعراف، الآية 53.
4- سورة الشّعراء، الآية 203.
5- سورة البقرة، الآية 44.
6- سورة الصّف، الآية 10.

الإباحة: تكون لإباحة أمر ما بالفعل والممارسة إذا كان الهدف منه المنع والحضر كقوله تعالى في الآية 187 من سورة البقرة: "وكُلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر."

التّهديد: إذا كان الكلام يتضمّن تحذيرا وتهديدا ووعيدا على سبيل التّخويف كقولك لأحدهم: "لا تصل وسترى عاقبة ذلك."

النّصح والإرشاد: كقولك: " دعْ عنك هذا!"

- **النّهي:** النّهي محذو به حذو الأمر والأصل فيه "لا تفعلْ". ويكون النّهي على سبيل الاستعلاء في أغلب الأحيان مع مراعاة مقام القول كغيره من أساليب الإنشاء الطّلبيّ. ومن أغراضه البلاغيّة نذكر:

الدّعاء: كقوله عزّ وجلّ في الآية 186 من سورة البقرة: "ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا." فالاستعمال هنا كان على سبيل التّضرّع إلى الله عزّ وجلّ، كما في قول المبتهل على الله "ربّنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين."

الالتماس: كقوله تعالى في الآية 94 من سورة طه: "لا يا ابن أمّي لا تأخذني بلحيتي ولا برأسي." وفي هذا المقام كان المُخاطِبُ والمُخاطَبُ متساويَيْن في الرّتبة.

التّهديد: كقول الطّبيب لمريض أدمن التّدخين ورفض الإقلاع عنه: "لا تقلعْ عن التّدخين!"

التّيْئيسُ: كقوله تعالى في الآية 66 من سورة البقرة: "لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم."

التّمنيّ: يكون بجملة إنشائيّة يقصد بها إرادة حدوث الشّيء ولا يعني إمكانيّة حصوله فعلا. فالتّمني عند البلاغيين هو الأمر الممكن والممتنع - المستحيل وقوعه – في حين بتعلّق التّرجي بالممكن وقوعه فقط. والأداة الأصليّة للتّمنّي هي "ليت" غير أنّ هناك أدوات أخرى منها:

لو: تستعمل لتمنّي ما ندر حدوثه.

هل: تستعمل لتمنّي ما قرُب حدوثه.

عسى: تستعمل للتّعبير عمّا لا يُراد حدوثه.

أفعال التّمنّي، مثل: آمل، أرجو، أتمنّى...

- **النّداء:** يُعرّف بأنَه: "إقبال المدعو على الدّاعي بأحد الحروف المخصوصة ينوب كلّ حرف منها مناب الفعل أدعو"[1]. وحروفه وأدواته ثمان وهي: الهمزة، أي: ينادى بهما للقريب، وا- أيا- هيا: ينادى بها للبعيد، يا لنداء القريب والبعيد. ومن أغراضه البلاغية والّتي تُعرف من سياق الكلام والحال نذكر:

التحسّر: كقول الشّاعر في رثاء ابنته: "يا درّة نزعت من تاج والدها."

التّعجّب: كقول المعري: "فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص".

النّدب والاستغاثة: وها كبدي! ويا أمّاهْ! وا معتصماه!

التّنبيه: يا صاحبيْ أنظرا أمامكما.

1- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص75.

التّعظيم: يا سفراء العلم والمعرفة.

- **إنشاء غير طلبيّ**: وهو عكس الإنشاء الطّلبي الّذي يُؤتى به دون انتظار حصول شيء من المُخاطب، كالتّعجب، والمدح، والذّم، والقسم، وصيغ العقود.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الجمل الإنشائيّة قد تفيد نوعيْن من المعنى.

- معنى حرفيّ مباشر.
- معنى حرفيّ غير مباشر تتداخل فيه أطراف ووسائل عديدة منها: مقاصد المتكلّم، المقام الإنشائيّ، وعلاقة المتكلّم بالمخاطَب...

- **التّعجّب**: عُرّف بأنّه: " إنشاء يعبّر عن انفعال قائم على إعجاب سلبا أو إيجابا"[1]. ويفهم ذلك بكونه نوع من الإفراط في التّعظيم لشيء متعجّب منه الحقّ في نفس المتعجّب تأطيرا ليس من العادة عنده. "والتّعجّبُ في كلام العرب على قسميْن: قسم بوّب له في علم النّحو، وقسم لا يُبوّب له ومنه"[2].

- القسم ما دخل عليه حرف الجرّ " اللاّم"، كقولنا: "لله ما أقوى ضربه." إذا تعجّبت من قوّة ضربه.
- النّداء ما دخل عليه حرف الجرّ "اللاّم"، كقولنا: "يا للعجب، يا للماء."
- الاستفهام، كقولنا: "أيّ رجل زيد."
- النّفي، كقولنا: يا جارتنا ما أنتِ جارة.

إنّ كلّ ما سبق من الصّيغ نقلت من معناها الأصليّ إلى معنى التّعجّب.

- **المدح والذّم**: "من أشهر الكلمات الّتي وضعت للمدح والذّم العامّ كلمتيْ نعم وبئس"[3]. ويستعمل فيها أيضا "حبّذا" و "لا حبّذا" كقولنا: "نعم خلق المرء." و"بئس رفقاء السّوء." وهي كلّها من الأفعال الجامدة لا يُشتقّ منها وليس لها لا مُضارع ولا أمر.
- **القسم**: وهنا إنشاء توكيد الكلام"[4]. كالحلف بشيء مقدّس أو التّعظيم به ويقوم القسم على عنصريْن[5].

مقسم به: ذات إلهيّة، مقدّس...

مقسم عليه: الكلام المُراد تأكيده...

ونستعمل للقسم أدوات مختلفة منها:

1- الأزهر الزّناد، دروس في البلاغة العربيّة، ص139.

2- أبو حيّان النّحويّ الأندلسيّ، منهج السّالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك، تحقيق: زيدني جلازر، دار أضواء السّلف 1947م، ط1، ص369.

3- عبد السّلام محمّد هارون، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، مكتبة الخانجي، 2001م، ط5، ص100.

4- الأزهر الزّناد، دروس في البلاغة العربيّة، ص141.

5- المرجع نفسه، ص141.

أفعال القسم: أقسم، حلف، عاهد، أُشهد الله...

أسماء القسم: الحلف، اليمين، القسم، عهد الله...

حروف القسم: الباء (بالله)، التّاء (تاء الله)، اللاّم (لله)، الواو (والله).

- **صيغ العقود:** من بيع وشراء وتهنئة وتعازي ومواساة... سواء كانت مكتوبة أو مشافهة.

3- أفعال الكلام في المدارس الغربيّة:

3-1- أفعال الكلام عند أوستين:

"يعدّ أوستين مؤسّس هذه النّظريّة وواضع المصطلح الّذي تُعرف به الآن في الفلسفة وفي اللّسانيّات المُعاصرة"[1]. ومن ثمّ توسّعت التّسميّات وظهرت لها تسميّات جديدة منها "ظاهرة الحدث الكلاميّ" و" نظريّة الأفعال الكلاميّة" و "نظريّة الحدث اللّغويّ" و"الأفعال الكلاميّة". ويعود تاريخ هذه النَظريّة إلى " المحاضرات الّتي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثاني من القرن العشرين، ثمّ في المحاضرات الاثنيْ عشر الّتي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955م ونشرت سنة 1962م بعد موته في كتاب عنوانه how to do things with words"[2].

تجدر الإشارة إلى أنّ "أوستين" كان متأثرا بدرجة كبيرة بما دعا إليه "فيتاجنشتانن" عندما أقرّ بقضيّة استعمال اللّغة من أجل وصف العالم والوجود حولنا، مع تنبيهه واستثنائه لبعض الاستعمالات الأخرى للّغة والّتي "لا يمكن أن تصف وقائع العالم حولنا كالأمر، والاستفهام، والشّكر، اللّعن، التّحيّة، الدّعاء ... وقد سمّاها بألعاب اللّغة langue games وأطلق على كلّ استعمالها "لعبة"، لأنّ هناك قواعد يتّفق عليها مستعملو اللّغة، كما يتّفق اللاّعبون على قواعد اللّعبة"[3]. هذا ما يشبه في البلاغة العربيّة القديمة مفهوم" الإنشاء" وهو يشترك معها في تأثير السّياق والمقام وعلاقة المتكلّم بالمُخاطب، فلها معنى حرفيّ مباشر ومعانٍ غير مُباشرة متعارف عنها عند اللاّعبين المنتمين إلى نفس المجموعة الثّقافيّة أو الاجتماعيّة أو التّاريخيّة...

نجد في تقسيم "أوستين" لأفعال الكلام ما ذهب إليه العرب في تقسيم الكلام إلى "خبر" و"إنشاء"؛ فالخبر عنده تقريبا هو ما يُسمّى بالأفعال الإخباريّة constative تحتمل معياريْ الصّدق والكذب. ذلك أنّها تخبر عن وقائع وأحداث للعالم الخارجيّ وتكون إمّا صادقة أو غير صادقة أي كاذبة، وهي في حقيقة الأمر أفعال واصفة تقوم بوصف ما حدث أو وقع بصدق أو بكذب.

أمّا "الإنشاء" فسماه بالأفعال الأدائيّة عكس الأفعال الوصفيّة. فهي لا تحتمل الصّدق والكذب يُنجزها المتكلّم ويؤدّيها بشروط محدّدة من بينها: مطابقة الفعل مع الواقع: كالاعتذار والتّرحيب والوعد... حيث نستخدم هذه الأفعال في التّعبير عن المواقف الّتي تتطلّب منّا ترحيبا أو اعتذارا، أو وعدا... أو أصبح الفعل

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، دار المعرفة، الاسكندريّة، 2002، ص40

2- المرجع نفسه، ص61، بتصرف.

3- المرجع نفسه، ص61، بتصرف.

غير موفّق وتعيس unhappy على حدّ تعبير "أوستين" ويصير بذلك لغوا. وقد قسّم "اوستين" هذه العبارات الملفوظة إلى نوعين[1]، هو نفس التّقسيم الّذي ذهب إليه العرب أنّ جمل الإنشاء قد تخرج عن معانيها الأساسيّة إلى معان حافة غير مباشرة:

- إنجازيّة صريحة مباشرة: الّتي يكون فعلها ظاهرا كالأمر، الدّعاء، النّهيّ... بصيغة الزّمن الحاضر المنسوب على المتكلّم.
- إنجازيّة ضمنيّة غير مُباشرة: فعلها غير ظاهر؛ فعندما أقول مثلا "الاجتهاد مفيد" فالمقصود "آمرك بالاجتهاد".

استطاع " أوستين" بعد مجهودات مختلفة استطاع أن يقسّم أفعال الكلام acte de discours integral إلى:

أ. **فعل القول أو الفعل اللّغويّ acte locutoire:**

المقصود بذلك هي تلك الألفاظ المنتميّة إلى جملة ما والّتي تحقّق معنى واضحا ضمن تركيب نحويّ سليم. ويفترض هذا أنّ يحتاج

إلى مستويات أخرى على غرار التّركيب والدّلالة وهي مستويات التّحليل اللّساني (المستوى الصّوتيّ والمستوى الصّرفيّ والمستوى المعجميّ) وهي عند "أوستين"

- الفعل الصّوتيّ: التّلفظ بسلسلة من الأصوات المنتميّة إلى لغة بعينها.
- الفعل التّركيبيّ: تركيب مفردات طبقا لقواعد لغة بعينها.
- الفعل الدّلاليّ: توظيف الأفعال حسب معان ودلالات محدّدة مفهومة من المجوعة النّاطقة بلغة ما. فجملة " إنّ المطر سينزل" حمّالة أوجه، يمكن أن تفهمها بأكثر من معنى حسب المتلقي وحسب سياق الكلام الّذي وردت فيه، فقد يكون معناها إخبار بسقوط المطر، أو تحذير بعدم الخروج لنزول المطر، أو ذات بعد إلزاميّ بضرورة حمل المطّريّة عند الخروج...

ب. **الفعل المتضمّن في القول** acte illocutoire:

هو ببساطة القول الّذي يستوجب قوله القيام بعمل ما، أو هو عمل منجز بقول ما. وهو الفعل الإنجازيّ الحقيقيّ القائم على أداء فعل معيّن. وقد سمّى "أوستين" هذه الأفعال بالوظائف اللّسانيّة الثّانويّة أو القوى الإنجازيّة. منها: السّؤال وإجابته، إصدار تأكيد، أو تحذير، وعد، أمر، شهادة في محكمة.... ولو أردنا أن نميّز بين " فعل القول" والفعل المتضمّن في القول" نقول أنّ الأوّل جاء لمجرد قول شيء ما، أمّا الثّاني فهو القيام بفعل ضمن قول شيء ما.

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصليّة في الدّرس العربيّ القديم، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، 2012، ط20ن ص78.

إنّ القوّة الإنجازيّة الّتي ارتكز عليها "أوستين" وقسم أفعال الكلام وفقها إلى خمس فصائل كبرى وهي على التّوالي:

1. الحُكميّة (الإقراريّة، verdictifs): وهي عبارة عن الإعلان عن حُكم أو إقرار بصفة بديهيّة أو مستندة إلى حجج وبراهين لحدث ما، مثل إخلاء الذّمة، وعد، وصف، حللّ، قدّر، قوّم، طبع...
2. التّمرسيّة (exersitifs): والقائم على إصدار قرار لصالح أو ضدّ سلسلة أفعال، مثال: أمر، قاد، دافع، ترجّى، تأسّف، نصح، عيّن...
3. التّكليف: (الوعديّة، commissifs): وفيها يلتزم المتكلّم بسلسلة من أفعال محدّدة مثال: وعّد، تمنّى، ضمن، التزم بعقد، أقسم، القيام بمعاهدة...
4. العرضيّة (التّعبيريّة، exposifits) وتستعمل في عرض مفاهيم وتبسيط موضوع، توضيح استعمال كلمات، ضبط مراجع... مثال: أكّد، أنكر، أجاب، اعترض، وهب، مثّل، فسّر، نقل أقوالا...وهي أفعال تعرِضُ مفاهيم مفصّلة.
5. السَلوكيّات (الإخباريّات، comportementaux): وهي عبارة عن تلك الردود الكلاميّة على أفعال الآخرين، واتّجاه الأحداث المرتبطة بهم، فهي تعابير مواقف تجاه السّلوك والمصير، مثال: اعتذر، هنّأ، حيّ، رحّب، عزّ، بارك، لعن... وكذلك فيما يخصّ الاحتجاج، فهي تقوم بضبط مكانة أقوالنا داخل الخطاب أو الحديث أو الحوار.

ج. الفعل النّاتج عن قول acte perlocutoire:

اسم على مسمّى، الفعل النّاتج عن القول هو ذاك الفعل الثّالث والّذي يتسبّبُ في ظهور المشاعر والفكر ومن أمثلة ذلك الإقناع والتّضليل، والإرشاد... هو عبارة عن تلك الرّدود من الأفعال للمتلقّي تدلّ على تأثره بكلام المُخاطب، وقد سمّاها "أوستين" الفعل النّاتج عن القول، وسمّاه البعض بالفعل التّأثيريّ[1].

يمكن أن نفصل الأنواع الثّلاثة من أفعال الكلام حسب "أوستين" بهذا المثال الواضح: "يمكن أن نميّز فعل الكلام (قال أنّ...)، عن قوّة فعل الكلام (احيجّ بأنّ...) وأنْ نفصلها معا عن لازمي فعل الكلام (أقنعني بأن...). إنّ المتلفّظ بجملة ما هو لا يدر في الكثير من الأحيان أنّه قام بثلاثة أفعال وأنّ هذه الأفعال الثّلاثة أفعال تشكّل كيانا واحدا مع العلم أن الأفعال الثّلاثة يقع حدوثها في وقت واحد[2].

1- اوستين، نظريّة أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنتي، إفريقيا الشرق، 1991م، ص121.
2- الجيلاني دلاش، مدخل الة اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، ص24.

2-3- أفعال الكلام عند سورل:

"سورل" من تلامذة "أوستين" والقول بهذا يعني أنّه كان مطّلعا على نظريّات أستاذه وسيعمل على تطويرها ومواصلتها. "إذ قدّم شروط إنجاز كلّ فعل، على جانب بيان شروط تحوّل فعل حال إلى حال أخرى، آليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصودة"[1]. ولو أردنا أن نشرح ذلك لاعتمدنا على ما هو تطبيقيّ على جملة ما، فجملة: " من في السيّارة؟ لما لم تستعمل جهاز التّحكم لإغلاقها؟" حمّال أوجه ودلالات مختلفة منها:

- الأمر بالقيام بعمل: إذا كانت السّيّارة مرصوفة في الشّارع وهي مفتوحة.
- الطّلب على وجه الالتماس: إذا كان الاجتماع سيطول، لا يجب ترك السّيّارة مفتوحة كلّ هذا الوقت.
- معاتبة على سلوك: إذا كان العمل مقصودا ومتعمدا بدافع الاستهتار.

قسم "سيرل" أفعال الكلام إلى أربعة وهي.

- فعل التّلفظ (الصّوتيّ والتّركيبيّ)
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي)
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين)
- الفعل التّأثيري (على نحو ما فعل أوستين)

نُمثّل على ذلك بمثال أوضح ممّا قبل وهو:

- رفع القاضي الجلسة
- أرفع القاضي الجلسة؟
- يا قاض ارفع الجلسة!

4- الأسس النّظريّة لظاهرتيْ الخبر والإنشاء عند أ "خالد ميلاد":

4-1- التّوصيات المنهجيّة:

ركز الأستاذ **"خالد ميلاد"** في بداية المحاضر على الاهتمام بالمنهج، لما له من أهميّة كبرى. فاكتساب المنهج العلميّ أفضل من اكتساب العلم في حدّ ذاته. فلكلّ علم منهج ومادّة. فإن كانت مادّة العلم هي جملة الظّواهر الّتي يتناولها العلم بالتّحليل، فإنّ المنهج هو طريقة المعرفة الّتي يسلكها الباحث في سبيل التّعرّف على حقيقة تلك الظّواهر. فنقول مثلا العلوم الطّبيعيّة، ونعني بها؛ المناهج العلميّة الّتي تتناول بالتّحليل الظّواهر الطّبيعيّة حال الفيزياء والأحياء وغيرها، ونقول العلوم الاجتماعيّة، ونقصد بها: المناهج العلميّة الّتي تتناول بالتّحليل الظّواهر الاجتماعيّة.

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص79.

تُعرّف كلمة المنهج لغة بأنّها: "مصدر مشتقّ من الفعل نهج بمعنى: طرق أو سلك أو اتّبع. والنّهجُ هو المنهج والمنهاج وتعني الطّريق الواضح"[1].

أمّا اصطلاحا فتعني: "طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة برهانيّة أو معرفة علميّة. أمّا علم المنهج أو المنهجيّة هو العلم الّذي ينتمي في جذره نظريّة المعرفة"[2]. ويعرّفه محمّد البدويّ قائلا: "علم يعتني بالبحث في أيسر الطّرق للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت". وتفيد كذلك معنى ترتيب المادّة المعرفيّة وتبويبها وفق أحكام مضبوطة." والمنهج منهجان منهج فكريّ المقصود به؛ نظريّة المعرفة الّتي يستند إليها المنهج في بناء أُسسه النظريّة. ومنهج علميّ؛ يتضمّن مجموعة الوسائل والشّروط والإجراءات الّتي يسلكها الباحث للوصول إلى حقيقة أو إلى معلومة جديدة في مختلف فروع العلوم والمعارف. يأخذنا هذا الحديث إلى ضرورة التّمييز بين المنهج العلميّ والبحث العلميّ. فما الفرق بينهما؟

المنهج العلميّ والبحث العلميّ أمران مترافقان. ويمكن التّمييز بينهما باعتبار أنّ البحث العلميّ يمثّل الأسلوب المتّبع للحصول على علم صحيح مضمون ودقيق. وللحصول عليه يجب اتّباع منهج علميّ متمثّل في الطّريقة النّموذجيّة الّتي تربط بين الفرضيّات والنّظريّات. ومن المؤكّد أنّ كلّ بحث يتكوّن من ثلاث خطوات وهي: تحديد وتعريف المشكل. ثمّ البحث عن شرح لمنهجيّات البحث. ثمّ الملاحظة والقياس والتّجريب.

إنّ الكلام في المنهج وكيفيّة التّعامل مع هذه النّظريات الحديثة اللّسانية والتّداولية، والتّركيز على المنهج دون العلم أمر مهمّ، نظرا لما نراه من خلط كبير ومن توجّهات مختلفة لا تصل في الغالب الأعمّ إلى وجه السّداد والصّواب. إنّ الحديث في المنهج هو سبيل لاكتساب المعارف وتملّكها، فيما يمكن أن يكون متاحا من الوضوح والدّقّة واليسر. فنحن في حاجة إلى هذه الصّفات المنهجيّة كركيزة لبناء علم ومعرفة جديديْن. يقول الأستاذ خالد ميلاد في محاضرته الافتراضيّة: نحن نتحدّث عن المنهج؛ لأنّنا لا نُحسن التّعامل مع تراثنا النّحويّ. ففي الأعمّ لا يخرج التّعامل مع التّراث عن ثلاثة اتجاهات في التّعامل مع التّراث واللّسانيات التّداوليّة الحديثة.

اتّجاه أوّل: يذهب إلى الورع بالتّراث والاعتراض عن كلّ النّظريات اللّسانيات الحديثة، باعتبار أنّ التّراث وعى كلّ العلوم والمعارف في اللّغة والبلاغة وفي سائر المعارف. هذا الإعراض هو خطأ فادح. فالمعرفة باللّغات غير العربيّة مطلوب بالنّسبة إلى اللّسانيين العرب، ولا نكتفي بالتّرجمة لأنّ فيها مشاكل اصطلاحيّة، ولأنّ النّصّ الأصليّ يكون أوضح من النّصّ المترجم في العموم.

اتجاه ثان: يبدأ البناية من السقف أي؛ من نظريّات اللّسانيّات الحديثة والتّداوليّة إلى التّراث النّحويّ والبلاغيّ العربيّ. فلا يُحسن فهم السّياقات اللّسانيّات الحديثة ولا يعرف شيئا عن التّراث النّحويّ والبلاغيّ وما له من أسرار كثيرة.

1- لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادّة نهج.

2- المعجم الشّامل لمصطلحات الفلسفة. عبد المنعم حنفي. ط3. مكتبة مدبولي. القاهرة. 2000م.

اتجاه ثالث: يُسقط هذا على ذاك، ويقول هذا الّذي نجده في اللّسانيّات الحديثة قد سبق أن قاله فلان في التّراث العربيّ القديم، والدّليل على ذاك أنّ فلانا قال كذا وكذا... وأنّ فلانا قال كذا وكذا...

يقول أ خالد ميلاد: المنهج يجب أن يستند إلى معرفة دقيقة بتراثنا البلاغيّ وتراثنا اللّسانيّ في مختلف مراحله، وعلى الأخصّ في مرحلة سيبويه، باعتباره جامعا للفكر النّحويّ الّذي سبقه إلى ذلك "ابن هشام" في "مغني اللّبيب...". هذا المسار هو الّذي ولد فيه التّفكير النّحويّ والتّفكير البلاغيّ كيف تطوّر من مرحلة إلى مرحلة؟ وكيف توقّف في مرحلة من المراحل؟ وماذا علينا أن نقوم به لنتمّم المعرفة الّتي توصّل إليها البحث اللّسانيّ والتّداوليّ من حيث المنهج لا من حيث المادّة العلميّة؟

إنّ الهدف إذن هو التّمكن ممّا جاءت به النّظريّات اللّسانيّة التّداوليّة الحديثة لمواصلة ما توقّف عنده النّحاة العرب القدامى.

إنّ المنهج الأساسي الّذي علينا الاستفادة منه هو: ماذا أصاب البحث من تغيير في الفكر الإنسانيّ بصفة عامّة وفي الدّرس اللّسانيّ بصفة خاصّة؟

4-2- مُسبّبات إعادة النّظر في أقسام الكلام:

السّؤال الذي يطرحه الأستاذ "خالد ميلاد" هو: ما الشّيء الّذي طرأ على المادّة المدروسة وجعلنا نعيد النّظر في أقسام أفعال الكلام من ناحية أولى ونفس السّبب الّذي جعلنا غير مواكبين للدّرس اللّسانيّ التّداوليّ الحديث؟

يعتبر أ "خالد ميلاد" أنّ من الأمور الطّارئة على المادّة اللّسانيّة التّداوليّة هو أنّ البحث اللّسانيّ قد تجاوز مادّة النّصّ الأدبيّ السّاميّ إلى الكلام العاديّ؛ أي البحث في الكلام العاديّ. وهو المنهج الأساسيّ الّذي يميّز التّفكير التّداوليّ الحديث بعد أن كان يهتمّ فقط بدراسة النّصّ الأدبيّ السّامي، إلى درجة أنّ النّحاة العرب كانوا يقصرون البحث على الخبر دون الإنشاء، وكأنّ الكلام خبر دون إنشاء وحشروا في الخبر أشياء كثيرة معتبرين أنّ الخبر هو وعاء المجازات والأساليب البلاغيّة الرّاقية... وكذلك نُحاة الغرب قد وقعوا في نفس الإشكال، وكانوا يهتمّون بالخبر دون الإنشاء. ثمّ أصبح البحث اليوم مع التّداوليّة في الكلام العاديّ من الاستعمال اليوميّ، واستدعى هذا الحضور وجوبا النّظر في كلّ الأطراف المتداخلة من متكلّم ومخاطب وكان حاضرا من جميع الأحوال المتّصلة بهذا الكلام، إذن ثمة انقلاب وتطوّر في البحث والمنهج. هذا التّطور ولّدَ نظريّة سموها **"نظرية أفعال الكلام"**. للإجابة عن هذا يجب طرح سؤال آخر وهو: كيف طوّر الغرب المادّة اللّسانيّة حتّى تواكب النّظريّات التّداوليّة؟

انطلق "أوستين" من فكرة أنّ الكلام الخبريّ لا يكون دائما إنجازا وإنشاء لمعان كثيرة. ويقول أنّ تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء ليس مقبولا. وفكّر واجتهد كثيرا وجاء خليفته "سورل" وقام بإتمام ما يمكن أن نسميه بالنّظريّة الكلاسيكيّة لأفعال الكلام.

يقول أ "خالد ميلاد" في محاضرته الافتراضيّة: أنّ العرب يطلقون صفة هذا باحث مختصّ في "**نظرية أفعال الكلام**" وهذا مختص في كذا وكذا... والحقيقة أنّ جهود هذا الباحث تقتصر فقط في إعادة تشكيل

النظرية، أو تحليلها بأدقّ تفاصيلها وهذا ليس بالاختصاص. للأسف تتمثّل أعمالنا البحثيّة في **"نظريّة أفعال الكلام"** في مجرّد تطبيق التّداوليّة وما تحمله من نظريّات على أمّهات نصوصنا من قصائد وحتّى على القرآن الكريم ... وفي ذلك فليختلف المختلفون كما اختلف الفرنسيون في مسائل كثيرة من les actes de parole les actes de discours ويختلفون في ذلك كما يختلف العرب في هذا أيضا. ويؤكّد أ "خالد ميلاد" على ضرورة أن نمتلك نظرة نقديّة، ونتبنى نظريتنا الخاصة بنا كعرب.

يبيّن أ "خالد ميلاد" أنّ هناك احترازا على استعمال مفهوم **"أفعال الكلام"** رغم ما فيه من اصطلاح بين المجموعة اللّغويّة؛ لأنّ الفعل في معناه المباشر هو قسيم الاسم والحرف والمقصود هو العمل. ودليل هذا ما قاله **"السيرافي"** عن النّداء: "مجراه هو مجري عمل يعمله عامل". ويضيف قائلا: يمكن أنْ نقول أنّنا نستعمل مصطلح **"أفعال الكلام"** أو **"معاني الكلام"** وأغلب الظّنّ أنّ معنى الكلام كاف، فعندما قسّم سيبويه **"الكلام"** كان يتحدّث عن الخبر والنّداء والاستفهام والتّعجب والأمر... لم يقل ذلك بوضوح لكنّه تحدّث عن تقسيم آخر لا يعتبره أ. خالد ميلاد تقسيمه ولا من عمله. إن في حديثه عن "الواجب" و"غير الواجب" من الكلام والوجوب هو حديث عن مصطلح منطقيّ. كيف التقط هذا المفهوم؟ ومن جهة أخرى يشير أ "خالد ميلاد" في مداخلته إلى أنّ **"المبرد"** هو الآخر سيترك هذه القسمة القائمة على **"الكلام الواجب"** و**"الكلام غير الواجب"** وهذه التّقسيمات؛ لأنّها مركّبة تركيبا لا يتمشى مع التّفكير النّحويّ ولأنّ مفهوم **"الواجب"** و**"الوجوب"** كانا مختلطيْن بالمفهوم الفقهيّ، لذلك لم يصمد بعد **"سيبويه"** وبعد **"المبرّد"** بعد هذيْن الرّجليْن نجد أنّ صاحب المقتضب يتحدّث عن معنى **"الإيقاع"** بمعنى **"الإنشاء"** دون ذكره صراحة. يشير الأستاذ **"خالد ميلاد"** إلى جهود المبرّد الّذي قابل بين الخبر والإيقاع في سياق تحليل عمل النّداء يقول المبرد: "يا حرف النّداء، هو بدل من قولك "أدعو عبد الله" لا أنّك تخبر أنّك تفعل، بل بها دلّ أنّك أوقعت فعلا. فإذا قلت "يا عبد الله"، فقد وقع دعاؤك بعبد الله إيقاع الفعل الإنشائيّ." ويأتي الأستاذ خالد ميلاد على ذكر ما جاء به **"السّيرافي"** منتصف القرن الرّابع عندما ولّد معنى العمل الكلاميّ أو الفعل الكلاميّ. فصرّح بأنّ قسما من أقسام الكلام، هو قسم لا يخبر به ولا يعبّر به عن شيء آخر. وإنّما هو لفظ مجراه مجرى عمل يعمله عامل. كأنّ الإنسان قام بعمل عند النّطق به. فيتأكّد في هذا المسار النّحوي الفكريّ مفهوم العمل بالكلام أو العمل باللّفظ أو العمل القسيم بالخبر والخبر دائما موجود.

ثمّ يأتي أ "خالد ميلاد" بالحديث عن "السّكاكي" في مداخلته، إذ يقول: " جاء في مرحلة متأخّرة بداية القرن السابع، وهو يمثّل مرحلة مهمّة في التّفكير البلاغيّ؛ لأنّه رسّخ الدّرس البلاغيّ في سياق نحويّ أي في سياق البحث النّحويّ، إذ بنى كتابه مفتاح العلوم على خمسة أقسام. نحتاج منها نحن إلى الثّلاثة اقسام الأولى. فكيف استفاد "السّكاكيّ" من المنطق وعلمه؟ إنّ الدّرس النّحويّ كان يبنى على أربع مراحل: قسم كان يهتمّ بالاسم، وقسم في الفعل وقسم ثالث في الحرف، وقسم في المشترك. فما الّذي أضافه "السّكاكيّ"؟ قد قلب هذا التّقسيم وهو إثراء وإغناء. قد قلب الدّرس النّحويّ، وجعله يبدأ من الكلمة. ثمّ دراسة المركّب أي النّحو والقسم الثّالث ذكر فيه الأهميّة من الدّرس البلاغيّ، وهو قسم المعاني. إنّ من يتّهم "السّكاكي" بأنّه قد جمّد البلاغة، نقول له هو من ولد البلاغة في قسم المعنى. فقد قسّم القسم الثالث من "مفتاح العلوم"

الكلام إلى خبر وطلب. وهي مرحلة من التّفكير النّحويّ البلاغيّ. تطوّر هذا التّفكير بعده "السّكاكي". في مرحلة لاحقة. فقد ظهر في الأدبيات الفقهيّة مصطلح سرعان ما انصهر في الدّرس البلاغيّ والدّرس النّحويّ وهو مصطلح **"الإنشاء"**. وأوّل من ذكره وحاول أن يدخله هو الغزالي، عندما تحدّث عن البيع والإجازة عند النّكاح يقول: ليس لها صيغة الإخبار، ليس لها إلاّ صيغة الإخبار: ... وقد جعله الشّرع إنشاء، فليس لإنشائه لفظ."

ثم يأتي الأستاذ **"خالد ميلاد"** في محاضرته عمن أدخل مصطلح الإنشاء إلى الدّرس النّحويّ وهو في اعتقاده الأصوليّ **"ابن الحاجب"**. هو نحويّ قادم من أصول فقهيّة والّذي شرح كتابه "الاستراباديّ"، الّذي حلّل توجّهه في شرح الرّضيّ. و"الكافيّة" هي الّتي أظهرت إنشاء التّعجب، وإنشاء الاستفهام، وإنشاء المدح والذّم، وحلّلها "الاستراباذي" تحليلا جيّدا ومستفيضا في شرحه لها. وتبلور مفهوم الإنشاء من ذلك الوقت وأصبح الكلام عند النّحاة "خبر" و"طلب" و"إنشاء" على ثلاثة أقسام.

هذا هو التّطور العلميّ لأفعال الكلام عبر مراحل. ثم يأتي أ **"خالد ميلاد"** في محاضرته في الحديث عن **"ابن هشام"** الّذي جاء في منتصف القرن الثّامن قد مثّل مرحلة مهمّة من مراحل الاجتهاد المنهجيّ والتّفكير النّحويّ، إذ حلّل مفهوم الإنشاء تحليلا مستفيضا معلّلا ومُطورا ما ذهب إليه في مرحلة ثانية. فذهب إلى أنّ الكلام ثلاثة أقسام: خبر وطلب وإنشاء يقول" إمّا أن يحتمل الصّدق والتّكذيب أو أن يتأخّر معناه و.... ويضيف قائلا." وهذا التّقسيم الثّلاثيّ تبعت فيه بعضهم - والتّحقيق خلاف ذلك - وأنّ الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء وأنّ الطّلب مدلول الإنشاء وأنّه حاصل عند التّلفظ به لا يتأخّر عنه...

أصبح الكلام إذن خبرا وإنشاء وانتهى التّفكير النّحويّ والبلاغيّ إلى أنّ الكلام خبر وإنشاء، وأن الإنشاء ضربان، وأن الإنشاء طلبي وغير طلبي.

يقول أ "خالد ميلاد": إنّ الإشكال الكبير الّذي سنبني عليه مرحلة التّطوير واتّباع منهج لسانيّ إنسانيّ حديث يهتمّ بمعان غير المعاني الأدبيّة. معاني الكلام خبر وإنشاء والإنشاء طلبيّ وغير طلبيّ (الأمر والاستفهام ...) وغير الطّلبيّ كأنّه سلّة مهملات وضعوا فيه القسمَ، والقسم خطأ والقسمُ ليس كلاما، بل توكيد للكلام كأنّ لا شيء يجمع بين القسم والطّلب والعقود والمدح والذّم أشياء كلّها موضوعه في كيس واحد. هذه الأشياء هي الّتي بحث فيها "أوتيل" عندما بحث في هذه الأبنية الّتي لا تفيد إخبارا وإنّما تفيد عقودا وإنشاءات ليست طلبيّة.

يؤكّد أ "خالد ميلاد" أنّ المنهج يقتضي أن يصبح هذا الّذي كان ركنا مهملا أن يكون مركزيّا في الدّرس اللّغويّ والنّحويّ. فالسؤال الّذي يُطرح هنا بشدّة هو: ماذا يعنينا نحن إنْ كان الدّرس النّحويّ والبلاغيّ لم يولد مرّة واحدة، وأنّه مرّ بمراحل كثيرة، وأنّه في فترة ما توقّف عند حدّ بنية الإنشاء طلبيّ وغير طلبيّ؟ توقّف الدّرس البلاغيّ عند الخبر والإنشاء الطّلبيّ وغير الطّلبيّ. ودورنا هنا أنْ نُطوّر هذا التّفكير استنادا إلى الفكر التّداوليّ الإنسانيّ المتوفّر من الغرب.

من الأمور الّتي تُحرجُ الدّرس البلاغيّ القديم، أنّه لم يكن مهتمّا بدراسة العقود كالبيع والشّراء، لم يكن مهتمّا بهذا الكلام الّذي صار اليوم مركز بحث مهمّ.

يعود أ "خالد ميلاد" بعد الحديث عن جهود البلاغيين العرب القُدامى إلى النّظر في التّطور الفكريّ الّذي انتهى إليه "أوستين" و"سورل" في نظريّة الكلام. ومن أهمّ ما جاءا به هو الاهتمام بالكلام العاديّ ودراسته في مقاماته وتقسّي ما نفعله باللّغة عندما نتكلّم. طبعا، وهي نظريّة معروفة أتينا على ذكر تفاصيلها في الجزء السّابق من هذا البحث. ومن الضّروريّ التأكيد على أنّ قيمة العمل لا تُميّز بين الكلام السّامي والكلام العاديّ في مقاماته، وثانيا أنّه يستطيع أن يسيطر على المعاني استنادا إلى مقاييس معلومة. وجاء "سورل" ووضع اثنيْ عشر مقياسا في تصنيفه للكلام. وقال أنّه تقسيم منهجيّ ليس علميّ.

4-3- مسببات إعادة النّظر في أقسام الكلام:

يقول أ "خالد ميلاد"، أنّه علينا كلغويين عرب أن نأتيّ على ما يمكن أن نكمل به نظريّات أفعال الكلام الّتي توقّف عندها الغرب وتقسيمهم إيّاها إلى "إنشاء طلبيّ" و"غير طلبيّ" وعلينا أن نبحث عن مقاييس جديدة يقوم عليها التّقسيم لأعمال الكلام ومعانيه، المقاييس الأساسيّة في واقع الأمر مقياسان أو مقياس واحد. المقياس الأساسيّ وهو:

- **العامل الاعتقاديّ:** هو العامل الإعرابيّ الدّلاليّ المرتبط بالمعنى الإعرابيّ، وهو المتعارف عليه بالعامل النّفسي.ـفيه يتّضح اعتقاد المتكلّم وجود شيء من عدمه. وهو ما يولّد معنى الخبريّة أي أنّنا نُخبر "إثباتا" أو "نفيّا" أو "تأكيدا"؛ لأنّي أُعبّر عن اعتقاد وجود ذلك الشّيء أو نفي وجوده.
- **عامل الإرادة:** ما يُقابل عامل الاعتقاد أو الرّغبة في إيجاد شيء في الكون أو العالم الخارجيّ، وهو ما يولّد معنى "الطّلب".

  خلاصة ما قيل سابقا أنّ "الاعتقاد" ولّد "الإخبار" والرّغبة" تولّد "الطّلب".
- **عامل "الانفعال":** المقصود بذلك أنّ انفعال المتكلّم من خلال كلمات تفيد هذا الانفعال كالتّعجب، فالتّعجّب ليس "طلبا" وليس خبرا وليس ناتجا عن اعتقاد أو رغبة، وإنّما هو ناتج عن مولّد من انفعال.
- **عامل الالتزام:** هو عامل الالتزام بالأعراف والقوانين الاجتماعيّة والمؤسساتيّة، والّذي يولّد العقود وما يكون بمنزلة العقود، والعقود كثيرة حتّى التّعازي عقود أخلاقيّة اجتماعيّة... فعدم تقديم واجب العزاء هو إفساد للتّقاليد الاجتماعيّة، وليست قعود البيع والشّراء هي فقط من العقود، بل حتّى المُعاملات الاجتماعيّة وأخلاقيّة والمؤسساتيّة كذلك.

5- خلاصة البحث:

نستنتج نهاية أن أ "خالد ميلاد" قسّم أفعال الكلام حسب العامل؛ فالاعتقاد يولّد الإخبار. والإرادة أو الرّغبة تولّد الطّلب وإيجاد شيء خارجيّ كالأمر وإيجاد شيء ذهنيّ كالاستفهام. وعامل ثالث هو عامل الانفعال أي انفعال المتكلّم بواسطة انفعالات تعبّر عن ذاك الانفعال كالتّعجب وما هو بطلب ولا بخبر، وإنّما هو مولّد من انفعال. وأخيرا عامل رابع: هو عامل الالتزام بالأعراف والقوانين الاجتماعية والمؤسساتيّة، الّذي يولّد العقود وما يكون بمنزلة العقود حتّى التّعازيّ عقود، وهي عقود أخلاقيّة اجتماعيّة. إنّ هذا التّقسيم هو تقسيم بسيط سهل الفهم ويحظى بقابلية للتّطبيق. فهو يقسّم الكلم إلى أربعة أقسام حسب العامل، كما أشارنا إلى هذا سابقا. ويمكن أن نختبر ناجعته من خلال مقياس الأبنية التّركيبيّة الدّلاليّة وهو مقياس إخباريّ مكمّل.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور الافريقي المصري): **"لسان العرب"**، تحقيق محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراق العربي، ط3، بيروت، 1419هـ، 1999م.

2- أرمنكو (فرونسوا): **"المقاربة التداولية"**، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1987م، ط1، ص62-63.

3- أوستين: **"نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام"**، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991م، ص121.

4- بوجادي (خليفة): **"في اللسانيات التداولية"**، ص79.

5- دلاش (الجيلالي): **"مدخل الى اللسانيات التداولية"**، تر: محمد يحياتم، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، ص24.

6- الزمخشري (الامام محمود بن عمر): **"الكشاف"**، تحقيق مصطفى حسين أحمد، دار الريان، ط7، القاهرة، 1987م.

7- الزناد (الازهر): **"دوس في البلاغة العربية"**، المركز الثقافي الإسلامي، بيروت، 1992م، ط1، ص42.

8- زيدان (محمود فهمي): **"في فلسفة اللغة"**، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، د ط، ص51.

9- السراج (أبو بكر محمد سهل): **"الأصول في النحو"**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

10- صحراوي (مسعود): **"الأفعال الكلامية عند الأصوليين"**، مجلة اللغة العربية، ع10، 2004م، ص182.

11- صحراوي (مسعود): **"التداولية عند العلماء العرب"**، دار الطليعة، ط1، 2005، ص20.

12- الطبطبائي (طالب سيد هاشم): **"نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب"**، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، د و، ص1.

13- عبد الحق (صلاح): **"التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد"**، دار التنوير، بيروت، 1993م، ط1، ص58.

14- عبد الحميد (زينب الشافعي): **"الإحالة ولكذب في التراكيب عند النحاة"**، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، بكلية العلوم، جامعة القاهرة، 1416هـ،1998م.

15- عبد اللطيف (محمد حماسة): **"النحووالدلالة"**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420هـ، 2000م.

16- عتيق (عبد العزيز): **"علم المعاني"**، دار النهضة العربية، 2009م، ط1، ص42.

17- نحلة (محمود أحمد): **"آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"**، دار المعرفة، الإسكندرية، 2002م، ص40.